

تفسير القرآن الكريم المرئي - سورة النبأ ٠٧٨ - الدرس (٥) : تفسير الآيات ٣١ - ٣٦ ، من هم المتقون ؟ وصف الجنة من قبل الله عز وجل .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٦-٠٦-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

الإيمان بالله ورسوله ضماناً في الدنيا وفي الآخرة :

أيها الأخوة الكرام ؛ لازلنا مع تفسير الجزء الثلاثين ، ومع السورة الأولى وهي سورة النبأ ، ومع قوله تعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسَاءَ دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾

[سورة النبأ : ٣١-٣٦]

هذه الآيات تتحدث عن المتقين وهم في الجنة ، لذلك الله عز وجل قال :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾

[سورة النبأ : ٣١]

من هم المتقون ؟ القرآن كما وصف من قبل الله عز وجل مثاني ، تأتي الآية تنثني على أختها فتفسرها ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾

[سورة الحديد : ٢٨]

كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴾

[سورة الحديد : ٢٨]

الإيمان بالله وبرسوله ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قال تعالى :

﴿ يُوْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

[سورة الحديد : ٢٨]



أي ضمانة في الدنيا وضمانة في الآخرة ، قال تعالى :

﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

[سورة الرحمن: ٤٦]

جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ، قال تعالى :

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ﴾

[سورة محمد: ٦]

في الدنيا ذاقوا طعمها ، والمؤمن في جنة هي جنة القرب ، لذلك قال بعض العلماء: ماذا يفعل أعدائي بي ؟ بستاني في صدري ، إن أبعدونني فإبعادي سياحة ، وإن حبسوني فحبسي خلوة ، وإن قتلوني فقتلي شهادة ، فماذا يفعل أعدائي بي ؟ هذه جنة القرب ، قال تعالى :

﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

[سورة الرحمن: ٤٦]

جنة الآخرة التي ذكرها القرآن ، أما جنة الدنيا فهي جنة القرب ، لذلك :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة الحديد: ٢٨]

بطولة الإنسان أن يفوز بمقياس الآخرة :

هذا الذي أعرض عن الآخرة ، لم يدخلها في حساباته أصلاً ، عاش شهواته وغرائزه ، عاش مصالحه ، هذا الإنسان الذي شرد عن الله عز وجل ما وضعه يوم القيامة ؟ في حالة ندم شديدة ، لذلك قال تعالى :

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[سورة الأحزاب: ٧١]



للتقريب لو قال طفل : معي مبلغ عظيم ، طفل قال هذه المقولة بعد أحد الأعياد ، الإنسان يقدر أن معه مئة دينار - نحن في الأردن - أما إذا قال مسؤول كبير في دولة عظمى: أعدنا لهذه الحرب مبلغاً عظيماً ، الكلمة نفسها تقدر بخمسة مليار ، الكلمة نفسها قالها طفل فقدرناها بمئة دينار ، وقالها مسؤول كبير في دولة عظمى فقدرناها

بخمسة مليار ، فإذا قال ملك الملوك ومالك الملوك :

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١١٣]

أعظم فضل من الله عليك أن تعرفه ، إنك إن عرفت الله عرفت كل شيء ، وإن فانتك معرفة الله فانتك كل شيء ، والله عز وجل في بعض الآثار القدسية يقول :

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدته وجدته كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

إذا البطولة أن تفوز ، أن تفوز بمقياس الآخرة ، لعل الفوز في الدنيا يعني المال ، معه أموال طائلة ، ولعل الفوز في الدنيا يعني المنصب الرفيع ، وصل إلى منصب عال جداً ، ولعل الفوز في الدنيا أن ينغمس في متع رخيصة بنظر أهل الفسق والفجور ، العبرة أن تبحث عن الفوز بمقياس الآخرة ، قال تعالى :



﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٧١]

لذلك من أوتي القرآن فظن أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله . يكفيك شرفاً أنك أوتيت القرآن ، فهمت القرآن ، طبقت القرآن ، تلوت القرآن ، تعلمت من القرآن ، لذلك قالوا : القرآن كونه ناطق و الكون قرآن صامت و النبي عليه الصلاة و السلام قرآن يمشي . وما لم ير الناس إسلاماً يمشي أمامهم لا يقتنعون بهذا الدين ، النبي كان قرآناً يمشي .

جزاء المؤمن في الآخرة القرب من الله و النظر إلى وجهه الكريم :

إذا أيها الأخوة الكرام ؛

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

[سورة الحديد: ٢٨]

المؤمن أحياناً عنده حالة يتميز بها ، لماذا ؟ لأن الله وعده بالجنة ، قال تعالى :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

لا يتمتع بالأمن إلا المؤمن حصراً ، قال تعالى :

﴿ **أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾

[سورة الأنعام: ٨٢]



ما قال : أولئك الأمن لهم ، الأمن لهم ولغيرهم ، أما عندما قدمنا شبه الجملة الخبر فصارت الصياغة حصرية ، لو قلت : نعبد إياك ، نعبد إياك لا تعني أننا لا نعبد غيرك ، أما إذا قلت : إياك نعبد ، عندما قدمت إياك على الفعل صار هناك قصر وحصر ، فلذلك :

﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾

[سورة الأنعام: ٨١-٨٢]

الحقيقة الجنة التي وعدنا بها فيها جنات تجري من تحتها الأنهار في المقاييس المادية للإنسان ، أي بستان جميل ، أشجار مزهرة ، قمر منير ، شمس ساطعة ، أزهار ، أطيار ، هذه قيم الجمال في الدنيا ، لكن الله عز وجل قريبا إلينا في القرآن :

﴿ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾

[سورة المائدة: ١٢]

وفي الجنة حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، وفيها نظر إلى وجه الله الكريم ، ورد في بعض الآثار القدسية أن المؤمن يرى وجه الله الكريم يغيب من نشوة النظرة خمسين ألف عام، لذلك في الجنة أنهار وأشجار هذا مستوى ، وفيها حور عين مستوى آخر ، وفيها نظر إلى وجه الله الكريم ، قال تعالى :

﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾

[سورة القيامة : ٢٢-٢٣]

ناصرة متألفة ، إلى ربها ناظرة ، وفيها أعلى شيء ورضوان من الله ، أي لو أنك دخلت إلى بيت قدم إليك أطيب المأكولات ، وأطيب الفواكه والحلويات ، والأثاث جميل ، والإطلالة جميلة ، لكن هذا كله في كفة ، وإذا دخل صاحب البيت ورحب بك ، وأثنى عليك ، وأثنى على هذه الزيارة ، فأنت في سعادة أخرى ، لذلك في الجنة حور عين ، وولدان مخلدون ، وأشجار ، وفواكه ، وكل شيء ، لكن وفيها رضوان من الله ، هذا أعظم ما في الجنة ، لذلك أجمل ما في الجنة القرب من الله ، أجمل ما

في الجنة التجليات التي تأتيك من الله ، أجمل ما في هذه الجنة الشعور أن الله يحبك ، وأنتك فعلت في الدنيا ما فعلت ، فكان هذا هو الجزاء ، قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٢-١]

من عرف الله عرف كل شيء :

بالمناسبة الفلاح شيء يفوق النجاح

قد تتجح في كسب المال ، قد تتجح في ارتقاء منصب رفيع ، لكن حينما تكون فالحاً تكون قد حققت الهدف من وجودك ، أنت لماذا في الدنيا؟ أنت جئت إلى الدنيا من أجل أن تعرف الله عز وجل .

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا

وجدتني وجدت كل شيء ..))

[تفسير ابن كثير]



وإن عرفت الله عرفت كل شيء ، وإذا كنت مع الله فأنت أقوى إنسان ، الله عز وجل قال :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

[سورة الحديد : ٤]

معكم بعلمه .

الله مع المؤمنين بالنصر و التوفيق و التأييد :

لكن إذا قال تعالى :

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنفال : ١٩]



العلماء قالوا : هذه معية خاصة ، معهم بالنصر ، والتأييد ، والتوفيق ، أي هذا الشاب المؤمن إذا أخلص لله في طاعته ، وفي عبادته ، كان الله معه ، أي معه بكل شيء ، يوفق في زواجه ، معه

تفسير الآيات ٣١ - ٣٦ ، من هم المتقون

بعمله ، يوفق في عمله ، معه بصحته ، يوفق بصحته ، معه بمن حوله ، من حوله يحبونه ، الحقيقة أن عطاء الله ليس له إحصاء ، لذلك ورد في بعض الآثار:

((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا))

[رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي عن ثوبان]

لن تحصوا الخيرات .

أيها الأخوة الكرام ؛ الأشياء الجميلة في الدنيا ما وظيفتها ؟ في الأرض حقول خضراء ، سهول جميلة ، جبال شاهقة ، غابات عملاقة ، أطيار جميلة ، أسماك رائعة ، هذه لمسات الجمال في الأرض ما وظيفتها ؟ وظيفتها أن تكون مرتكزاً لوصف الله في الجنة ، الكلمة من دون مرتكز مادي لا معنى لها ، أنت إذا قلت بحراً ولم تر البحر ، لا معنى لها إطلاقاً ، لا معنى لكلمة بحر إلا إذا رأيت البحر ، فهذه الكلمة إذا لفظتها تثير فيك ذكريات البحر ، ركبت البحر ، رأيت موج البحر ، رأيت زرقة البحر ، رأيت عمق البحر ، رأيت أسماك البحر ، ما دام هناك تجربة فكلمة بحر تفيد كل هذه المعاني ، لذلك الله عز وجل جعل في الدنيا أشياء جميلة ، جعل غابات ، جعل جبلاً وودياناً رائعة ، جعل أنهاراً و سهولاً و أطياراً و أسماكاً ، طفل صغير وجهه يأخذ بالألبياب ، هذا الجمال هو مسحة من جمال الله ، وهذا الجمال كأن الله جعله مرتكزاً لآيات الجنة ، الجنة تحتاج إلى مرتكزات ، المرتكزات في الدنيا لكن على مستوى أعلى بكثير .

ضرورة الإكثار من ذكر الله عز وجل :

إذا الله عز وجل قال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : ١]

الفلاح النجاح المطلق ، النجاح الأبدي ، أفلحت أي حققت الهدف من وجودك ، قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٢-١]

قال بعضهم : الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها بل من فرائضها .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٢-١]

الخشوع في الصلاة من فرائض الصلاة ، ، قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : ٢]

اللغو ما قرأت تعريفاً للغو أبلغ من هذا التعريف : كل ما سوى الله لغو ، قد تسهر سهرة الحديث عن الدنيا ، وعن الأسعار ، وعن القوى التي تتمدد في الأرض ، وعن وعن ، هذا الكلام يقول عنه النبي الكريم : " ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا قاموا عن أنثن من جيفة حمار ". مجلس ذكرت فيه السلبيات في حياتنا ، تسمى أحياناً جلد



الذات، نحكي عن الفساد ، عن الرشوة ، عن الانحراف ، عن الأقوياء المتسلطين ، هذه المعلومات وتلك الأخبار تجعلك لا تستطيع أن تقف ، فأنا أتمنى على كل أختنا إن جلسوا مجلساً أن يكثروا ذكر الله فيه أما إذا ذكروا الله :

((...وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم، إلا حفتهم

الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ...))

[ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

يقول لك : والله سررنا بهذه الجلسة ، فينبغي أن نحرص جميعاً في أي جلسة أن نذكر الله ، في هذه الجلسة لا مانع من ذكر بعض الحوادث ، أما أن نكتفي بالسلبيات ، نكتفي بجلد الذات ، فهذه الجلسة ليست مباركة فلا بد من ذكر الله عز وجل ، وقال تعالى :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

من يستنير بنور الله يميز بين الحق و الباطل :

الآية أيها الأخوة ؛

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

[سورة الحديد : ٢٨]



تصور إنساناً يمشي في غابة في الليل بلا مصباح ، الوقوع في حفرة قطعي حتمي ، الاصطدام بصخرة حتمي قطعي ، أما هذا النور فيضيء لك الطريق ، قال تعالى :

تفسير الآيات ٣١ - ٣٦ ، من هم المتقون

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

[سورة الحديد: ٢٨]

الآن دقق :

﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾

[سورة الحديد: ٢٨]

إذا أنت متى تتقي الله ؟ عندما قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾

[سورة النبأ: ٣١]

حينما تستتير بنور الله ترى بهذا النور الحق حقاً ، والباطل باطلاً .
إذا أخواننا الكرام ؛

((الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين))

[البهقي في شعب الإيمان عن عمر]

الصلاة سيدة القربات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات ، وأنت بالصلاة أنت مع الله ،
وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟

والحمد لله رب العالمين